حفظ الدين وحرية العقيدة

سماحة الشيخ/ سليمان أفندى رجبى
رئيس مسلمى شعوب جمهورية مقدونيا
مقدونيا

مقدمة:

إن موضوع بحثى "حفظ الدين وحرية العقيدة" وأسأل الله الحق أن يوفقنى بشرح موجز لمركبات مفاهيم المحور الأول وهو:

١ـ مفهوم العقيدة الدينية .

٢ـ حرية العقيدة بين الشريعة والوثيقة الدولية.

٣ـ شبهات حول حرية العقيدة فى الإسلام.

٤ـ المخاطر التى تهدد الإسلام.

بداية سأتناول تحقيقيًا شرح مفهوم العقيدة الدينية، وشبهات حول حرية العقيدة فى الإسلام حيث أنه حين تذكر حرية العقيدة فى الإسلام مباشرة تكال ضد الإسلام كل ما هو ضد الإنسانية لذلك سأتعرض للمركبتين فى نفس الوقت.

كثير من العلماء أعطوا صيغ لتعريف العقيدة، والجميع لم يخرجوا من تناول مفهوم العقيدة إلا أن كثير منهم لم يعطى تعريفًا كاملاً ووافيًا، فإذا تكلم عن الفطرة فى تعريفه ترك العقل فى دوره وتفسيره، لذلك سأتعرض تفصيليًا لتوضيح مفهوم العقيدة الدينية، نحن نعرف أنه لا يوجد تقدم ولا تطور فى جميع أوجه الحياة إذا لم يكن لدينا فكر عن الحياة والكون والإنسان وعن علاقتها جميعًا بما قبل الحياة الدنيا وما بعدها، لأن الفكر هو الذى يوجد المفاهيم عن الأشياء، والإنسان يكيف سلوكه فى الحياة بحسب مفاهيمه عنها، فالسلوك الإنسانى مربوط بمفاهيم الإنسان، وعند إرادتنا أن نغير سلوك الإنسان المنخفض ونجعله سلوكًا راقيًا لابد من أن نغير مفهومه أولا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ (الرعد: ١١) . هذا الفكر الذى أتكلم عنه عن علاقات الإنسان بالحياة والكون لا يمكن أن يكون منتجًا إلا إذا وجدنا العلاقة ما قبل الحياة والكون والإنسان وما بعدها هو العقيدة ونحن نعرف كثير من البشر عندما اعتمدوا فقط على الفطرة

فى تفسيرهم وقعوا فى طريق مسدود، نعم إن الإيمان بالله الخالق فطرى فى كل إنسان، إلا أن هذا الإيمان الفطرى يأتى عن طريق الوجدان، وهو طريق غير مأمون العاقبة وغير موصل إلى تركيز إذا ترك وحده، فالوجدان كثيرًا ما يضفى على ما يؤمن به أشياء لا حقائق لها، ولكن الوجدان تخيلها صفات لازمة لما أمن به، فوقع فى الكفر أو الضلال، وما عبادة الأوثان، وما الخرافات والنزهات إلا نتيجة لخطأ الوجدان، مثل الديانات البوذية وغيرها ومن اعتمد فقط على العقل وجد أنفسهم فى تناقض مع فطرتهم وإشباعها مثل الشيوعية، ولهذا لم يترك الإسلام الوجدان وحده طريقه للإيمان، حتى لا يجعل لله صفات تتناقض مع الإلوهية، أو أن يجعله ممكن التجسد فى أشياء مادية فيؤدى إلى الكفر لذلك حتم الإسلام استعمال العقل مع الوجدان، وأوجب على المسلم استعمال عقله حين يؤمن بالله تعالى ونهى عن التقليد فى العقيدة قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠). والإسلام أعطى حلاً صحيحًا يوافق الفطرة ويملأ العقل قناعة، والقلب طمأنينة، وجعل الدخول فيه متوقفًا على الإقرار بهذا الحل إقرارًا صادرًا عن العقل، ولذلك كان الإسلام مبينًا على أساس واحد هو العقيدة، وهى أن وراء هذا الكون والإنسان والحياة خالقًا خلقها جميعًا، وخلق كل شىء، وهو الله تعالى، وأن الخالق أوجد الأشياء من عدم، وهو واجب الوجود، فهو غير مخلوق وإلا لما كان خالقًا، واتصافه بأنه يقضى بأنه غير مخلوق، ويقضى بأنه واجب الوجود؛ لأن الأشياء جميعها تستند إليه فى وجودها إليه ولا يستند هو إلى شىء.

وجميع الأشياء المخلوقة لابد لها من خالق يدركها العقل هى الإنسان والكون والحياة، وجميع هذه الأشياء تتصف بصفات ملزمة لها وهى أنها محدودة، وناقصة وعاجزة ومحتاجة لغيرها، فالإنسان محدود؛ لأنه ينمو فى كل شىء إلى حد ما لا يتجاوزه، فهو محدود والحياة محدودة؛ لأن مظهرها فردى فقط، والمشاهد بالحس أنها تنتهى فى الفرد والكون محدود؛ لأنه مجموع أجرام؛ وكل جرم منها محدود ومجموع المحدودات محدود بداهة، فالكون محدود وعلى ذلك الإنسان محدود، وحين ننظر إلى المحدود نجده ليس أزليًا وإلا لما كان محدودًا والمحدود مخلوق. وهذا الغير هو خالق الكون والإنسان والحياة وهو واجب الوجود وهو الله تعالى. والقرآن الكريم أشار فى كثير من الآيات القرآنية إلى التأمل فى أى مظهر من مظاهر الحياة، وأن العقل يدرك من مجرد وجود الأشياء التى يقع عليها حسه، وأن لها خالقًا خلقها؛ لأن جميعها محدودة ناقصة وعاجزة ومحتاجة لغيرها؛ فيدرك من بدلالة قطعية على وجود الله تعالى، والآيات كثيرة بهذا المعنى قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠)، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ (الروم:٢٢)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ (الغاشية: ١٧-١٩) ، وقال تعالى :﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (الطارق: ٥-٧). إلى غيرها من الآيات القرآنية التى تدعو الإنسان لأن ينظر النظرة العميقة بدون تحيز إلى الأشياء وما حولها، ويستدل بذلك على وجود الخالق، حتى يكون إيمانه بالله راسخًا عن عقل وبينة.

ــ البحث الثانى من المحور هو حرية العقيدة بين الشريعة والوثيقة الدولية.

حرية العقيدة تتمثل فى التشريعات الوضيعة الحديثة فى حق الإنسان فى اعتناق الدين الذى يريده وحقه فى تبديل دينه واعتناق دين آخر.

عند الحديث عن ما وجه للإسلام من تهم باطلة فى حرية العقيدة الإسلامية عدة وجوه:

"هو أن الإسلام لا يعرف حرية العقيدة وأنه أشهر السيف فى وجه كافة العقائد الأخرى لكى يتركوا عقائدهم ويدخلوا فى رحابه، وأنه لم يقم إلا على حد السيف.

ــ أنه لا يعطى حرية مناقشة العقائد الأخرى، لكى يختار الناس ما يناسبهم من العقائد.

ــ أنه لا يجوز للمسلم أن يترك دينه، وإذا تركه وقعت عليه عقوبة قاسية، وهى عقوبة القتل.

والواقع أن كل هذه الوجوه غير صحيحة، ولا تثبت أمام الحجج الواضحة التى تواترت عن العلماء فى هذا الخصوص.

العقائد لا تقوم على الإقناع:

فالعقيد تتصل بعلاقة الإنسان بربه فهى تفترض الإقناع الكامل بها والتسليم المطلق من الإنسان لخالقه، وهو أمر لا يتم بالإكراه والقرآن الكريم جاء بذلك. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥) وكذلك نجد أن القرآن الكريم يدفع الناس إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وتكوين عقيدتهم بالعقل والفكر وليس بمجرد الميراث. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد:٣) وكثير من المستشرقين ورجال الفكر الغربى تثبت كذب ودعوى أن الإسلام لم يقم إلا على حد السيف.

وفى كتاب دفاع عن الإسلام للكاتبة "لورفيشيا فاغليرى" من أن الإسلام يحرم العدوان فى نصوص صريحة وردت فى القرآن والسنة وهو ينظر إلى الحرب بوصفها حريقًا يجب أن يطفأ بأسرع ما يمكن كلما اندلعت أثاره وهو يستنكر جميع الأعمال الحربية والوحشية، وقد سن مجموعة من القواعد والعادات لابتغاء جعل الحرب إنسانية، وأجاز الله للمسلمين أن يقاتلوا دفاعًا عن حرية الضمير لإقرار السلم والنظام. لقد جعل الإسلام الحرب تلكم الضرورة الرهيبة فى تلك الحياة أقل وحشية. واستدلت الكاتبة بانتشار الإسلام دون أن يدخل أى جيش يتبعه فى أكبر بلاد الإسلام الآن وهى إندونيسيا ويصدق ذلك على ماليزيا والصين كذلك. كذلك ذهبت إلى أن أحدًا لا يستطيع أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذى يمهد السبيل أمام الإسلام، بل على العكس ففى بلاد إسلامية عديدة تولت السلطة حكومات غير إسلامية، وسمحت لمنظمات تبشيرية عديدة بأن تنشر المسيحية فى بلاد المسلمين، ولكنها لم تنجح فى زحزحة الإسلام خطوة عن حياة شعوب هذه البلاد.

وذلك جاء فى كتاب "توماس كاريل" كتابه الشهير الأبطال وعبادة البطولة من أن اتهام الإسلام بالعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم إذ ليس مما يحوز فى الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها.

ونذكر هنا أيضًا ما جاء فى كتاب "جستاف لوبون" على الكذب والادعاء بانتشار الإسلام بحد السيف "أن القوة لم تكن عاملاً حاسمًا فى انتشار الإسلام، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا فى دينهم، فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام، واتخذت العربية لغة لها فذلك لما كان يتصف به العرب من ضروب العدل الذى لم يكن للناس عهد لمثله ولما عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفها الأديان الأخرى. إنه كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أنصارهم فيقترفون من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئون معاملة المغلوبين ويكرهونهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره فى أنحاء العالم، ولو فعلوا لتألبت عليهم جميع الأمم التى كانت بعد غير خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا سوريا، ولكن الخلفاء أدركوا بعبقريتهم أن النظم والأديان ليست مما يفرض قهرًا، فعاملوا أهالى كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة مقابل حمايتهم لهم، وحفز الأمن بينهم، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء ومتسامحين مثل العرب.

ويمكننا أن نوجز نتائج هامة لدراسات قام بها علماء أجلاء بأدلتها الواقعية فى الحياة وهى:

١ــ أن الإسلام يعامل الناس جميعًا دون تمييز بحسب الجنس أو اللون أو الدين فيما يتعلق

باكتساب الحقوق وممارستها فعلاً.

٢ــ أن الحقوق والحريات التى يقررها الإسلام حقوق وحريات مسئولة تمارس من خلال النظام الاجتماعى والوظائف التى يقررها للفرد من خلال الجماعة.

٣ــ أن الإسلام يكفل حماية وافية لحق الحياة وحرية الرأى والتعبير ولحق الإنسان فى حفظ النسل والعقل والدين، ويجب الاهتمام بالأسس التى يقدمها فى هذا المجال لفائدة الإنسانية بشكل عام.

٤ــ أن الإسلام يقدم الكثير فى مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ويضع أسسًا للتكافل الاجتماعى بين الناس، ويمنع استغلال الغنى القادر للفقير ولغير القادر، كما يضع الإسلام الأسس التى تكفل إلا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط، ويجب أن يستفاد بها فى تنظيم العلاقات بين ما يملكون ومن لا يملكون، وقد أعطى الإسلام للفقير وللمحتاج حقًا ماليًا تكفله له الدولة من بيت مال المسلمين، يكفى حاجاته وحاجات أورده ويدفعه للعمل والإنتاج.

٥ــ أنه فى مجال حرية التعبير يضع الإسلام الضوابط الكفيلة بحماية المجتمع من الآراء الضارة ويقيم أمة، أى مجموعة من العلماء مهمتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى تقيم نوعًا من الحراسة مع ممارسة الحقوق وتأدية الواجبات والنهى عن كل ما يخالف الدين والأخلاق فى المجتمع.

٦ــ أن الإسلام يقر حرية العقيدة ويعطى لكل شخص الحق فى أن يعتنق من الدين ما يشاء وأن ما يقال عن حد الردة وغيرها من قيود العقيدة، ليس محل إجماع من الفقه.

٧ــ الإسلام يعترف بغير المسلمين، ولا يعاديهم ويعتبرهم أعضاء فى المجتمع الإسلامى طالما قبلوا أحكام الدستور الإسلامى.

وعند تناولنا دور الشريعة الإسلامية والوثيقة الدولية، نحن المسلمون لا نستطيع أن ندعى أن الشريعة الإسلامية هى قانون دولى وضعى بحكم العلاقات الدولية، ذلك أن المجتمع الدولى اليوم، ليس مجتمع دول إسلامية فحسب، بل هو مجتمع يمثل كافة الأديان الإسلامية والمسيحية واليهودية والبوذية، كذلك هو مجتمع كافة القوميات والشعوب على اختلاف أكوانها وأجناسها، بل لعلنا نغالى إذا قلنا أن دور الإسلام فى الدائرة الدولية قد قل عند المد الذى كان يؤديه فى حكم العلاقات والشعوب فى الماضى.

صحيح أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع لدى كتلة كبيرة من الدول يتجاوز عدها اليوم عن ٤٠ دولة، وقد ظلت تحكم هذه الدول إلى وقت قريب، كما أن الكثير من القواعد

والأحكام التى تتبعها هذه الدول بعد أن اعتمدت التشريع الدينى بصورة سلطة الدولة كوسيلة لسن القواعد الملزمة لمجتمعاتنا، تتخذ من الشريعة الإسلامية، لذا تعد هذه الشريعة المصدر الرئيسى الموضوعى والتاريخى كذلك لتشريعات هذه الدول.

لذا يقبل المجتمع الدولى الشريعة الإسلامية باعتبارها واحدة من الأنظمة القانونية الرئيسية فى العالم وتبدو أهمية هذا القول فى وجوب أن تمثل فى تشكيل محكمة العدل الدولية وهى بذلك من مصادر القانون الدولى بالاشتراك مع غيرها من الأنظمة القانونية الرئيسية.

ونستخلص من ما قدمنا أن المصدر الأول للشريعة الإسلامية يجعل الأصل هو الحياة ويجعلها ضرورة لتبليغ الدعوة ولإحقاق الحق ولتنوير الناس وتعليمهم وإشاعة الثقافة والفكر السلمى بينهم، ولكن هذه الحرية مسئولة فيجب أن تتجنب كل ما يسيء إلى المجتمع وقيمه وأفراده وكل ما يخالف الشريعة من ناحية سلبية ومن الناحية الإيجابية يجب أن تتضمن خير الناس وصلاحهم وما يتحقق به نفعهم وتعليمهم وتثقيفهم.

أما ما جاءت به الأحاديث النبوية فيتبين لنا أن الرسول الكريم ﷺ يؤكد فى المسائل الآتية:

ـ الدعوة إلى الخير والمعروف وإصلاح بين الناس.

ـ إظهار الحق والجهر به مهما كلف ذلك قائله واعتبار ذلك من الجهاد.

ـ أن الأمة لا تنهى عن المنكر، ولا تأمر بالمعروف وتترك الظالم والباطل دون مقاومة مصيرها الهلاك فى الدنيا والعقاب فى الآخرة.

ـ ضرورة اتخاذ تدابير إيجابية ضد من يظلم الناس ومن يغدر بهم، وتكفل منع الظلم والضرر وإحقاق الحق ورده إلى أهله.

ـ منع الظلم والبغى واعتبار ذلك جريمة بحق الناس، بل أن الفعل إن كان جريمة "فاحشة" مثلا أو حد من الحدود فإن العقاب عليه يجب أن يكون علانية حتى يتحقق به الردع وحتى لا تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، وحتى يمتنع أى شخص عن اقتراب من حدود الله، وهذا فارق واضح فى حق التعبير فى الشريعة وفى القوانين الوضعية.

ومن ناحية أخرى نرى الإسلام يحرم الخوض فى الحياة الخاصة للناس، لكن ربما لم يساير التشريع الجنائى فى عقابه من يسند واقعة صحيحة تعد جريمة بالمدلول الشرعى؛ لأن الجرائم الدينية يجب الكشف عنها ومنعها والعقاب عليها؛ لأنها من قبيل المنكر ويجب دائمًا النهى عنه ولا يتسنى ذلك إلا بإظهاره للناس ويكون ضمن الشروط التالية:

ـ أن يكون الفعل المنسوب إلى الشخص يمثل مخالفة شرعية ظاهرة واضحة مثل ارتكاب

الحدود والمحرمات الشرعية.

ـ أن يكون الفعل قد ارتكب حديثًا، وإذا مضت مدة على فعله إلى حد جعل الناس ينسونه فإن النشر به غير جائز وقد وردت آيات يستخلص منها هذا الحكم.

ـ أن يكون الفعل قد ارتكب علانية لأن الجرائم التى ترتكب سرًا يمتنع البوح بها والكشف عنها. قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٨).

ـ الشريعة الإسلامية تحمى الأعراض بطريقة قوية ولا تبيح على الإطلاق أى نوع من التعدى عليها رغم إقرارها لضرورة كشف الجرائم.

ومن القيم الرئيسية فى الشريعة الإسلامية قيم العدالة والمساواة والمصلحة والحرية ولها مركزًا رئيسيًا فى الفكر الإسلامى ولا تسير وراء الفكر الغربى التى ارتبطت بمبادئ الفكر الغربى وتبحث عن المقابل لها فى الشريعة الإسلامية وهناك انتقادات كثيرة وجهت للإسلام من الباغضين عليه وهذه افتراءات ليس لها أى دلائل والذى أدى إلى أن يثار حديث حقوق الإنسان فى الإسلام، والواقع إننا نتناول قضية حقوق الإنسان فى الإسلام لأكثر من سبب: لتركيز وتعميق الدراسات الحديثة التى تهتم بحقوق الإنسان وحرياته وبيان الأدلة الشرعية التى تقوم عليها، حتى تكتسب قوة أكبر، فمن المعروف أن الأساس الدينى للقواعد والجزاء الدينى المقرر على مخالفتها وهو جزاء أخرروى أساسًا إلى جانب أنه يحتوى على جزاء دنيوى، والجزاء إذا انفعل بعقيدة الإنسان ومن جوارحه، يكون أكثر فعالية، واتجه فى التأثير عن الجزاء الدنيوى فقط.

ـ وهناك حقوق إنسانية لها أبعاد لم تذكر ولم تعلن إضافة إلى الجوانب المعنوية والأخلاقية والأدبية فى مدونات حقوق الإنسان.

ـ تغذية جوانب الحرية فى الصراع الدائم بينها وبين السلطة مما يدعم حقوق الإنسان ويعطى ضمانات واضحة لها، ولابد أن نعترف من الآن أن قيادات لدول إسلامية لا تحترم الكثير من حقوق الإنسان، وتميل إلى إساءة استخدام السلطة فى مواجهاتها وتقوم بأعمال ضد ممارسة معارضيها لحرياتهم ولحقوقهم السياسية، وتعصف بهذه الحقوق بأعمال الإعتقال والقبض التعسفى وتقييد الحريات وهى ممارسات تتم ضد القواعد الدينية والأخلاقية والقانونية.

ـ الرد على من يمارسون الضغط باسم حقوق الإنسان لتحقيق أغراض وممارسة ازدواجية المعايير فى التعامل مع الدول والشعوب على أساس احترام حقوق الإنسان وحرياته، واستغلال ثغرات تتمثل فى أقوال أو أفعال تأتى من حاكم لدولة إسلامية لوصم الإسلام بأنه ضد حقوق

الإنسان وحرياته ونشاهد يوميًا الكثير من هذه الأمثلة واقعيًا فى الدول الإسلامية.

الإسلام يقوم على نظام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويرى أنها مهمة يجب أن تقوم بها فئة هامة من المسلمين، وكذلك يقيم الإسلام القضاء وهيئاته للنظر فى المظالم ولتحقيق العدالة.

إننا نعيش صحوة إسلامية منذ أوائل القرن الماضى تنادى بالعودة إلى الجذور، وتنادى فى نفس الوقت بتطبيق الإسلام فى حياة المسلمين، عقيدة وشريعة، وهى دعوة تتناقض فى أحيان كثيرة مع دعاوى أمريكية وأوروبية تريد للعالم كله أن يتبعها، وتحاول جاهدة أن تقتلع أى أفكار أو ثقافات تناوئها. لذا أقامت من نفسها قيمة على العالم، وأقامت مما أطلقت عليه الإسلام الأصولى عدوًا لها، لا لشىء إلا أنها محاولات الهيمنة، وأعمال التسلط والابتلاع لثروات الدول الإسلامية.

الشريعة الإسلامية تأمر بالتسامح والبر والقسط والعدل مع الآخر أو المخالف لنا فى الدين وهذا يثبت عكس ما يطلقون على الدين الإسلامى بأنه دين إرهاب، إننا بتحلينا هذه المثل والفضائل فى معاملاتنا مع الآخرين، هذا لا يعنى أننا نمسخ أو نخرج من عقائدنا وأصول شريعتنا، بل لا يعنى على الإطلاق أن نتبع هؤلاء الناس فى كل ما يفعلوه. أننا نحتاج فى الحفاظ على أنفسنا، على ديننا عقيدة وشريعة، على تراثنا وحضارتنا، فإن انسلاحنا عنها يعنى موتنا ويعنى أيضًا خسارة للإنسانية من مبادئ وتجارب وقيم خصبة تخاطب ضمائر العالم، وتقف ضد الأنانية والسوء، تحق الحق وتبطل الباطل وتقى الإنسان من السوء والشرور.

ومن الشبهات التى نواجهها يوميًا ضد الإسلام، أن الإسلام يدعو إلى التطرف والعنف والعكس صحيح:

ـ الإسلام دين الحكمة والتسامح، يدعو إلى العدل والسلام ويصون حياة الإنسان وكرامته، وهذه ليست مجرد شعارات يرفعها الإسلام، إنما مبادئ أساسية راسخة قام عليها بنيان الإسلام فقد أرسل الله نبيه محمدًاﷺ رحمة للعالمين ووصف النبى ﷺ بقوله: **[إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]** ومنح الإنسان حرية الاختيار حتى فى أمور الاعتقاد، وقال تعالى: ﴿ **فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (الكهف: ٢٩).

الدعوة إلى الإسلام تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى لا على الإكراه والإرغام، كما أمر الإسلام بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والإفساد فى الأرض، ودعى إلى مقابلة السيئة بالحسنة" ورغم ما قابل النبى الكريم من أهل مكة عند فتحها رغم ما صنعوه معه ومع أصحابه من الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب قال لهم: **[اذهبوا فأنتم الطلقاء]**.

ـ هناك تطابق بين الإسلام والسلام فكلمة الإسلام مشتقة من الأصل الذى اشتق منه لفظ السلام، وقد وصف الله نفسه فى القرآن الكريم بأنه السلام. وتحية المسلمين هى السلام تذكيرًا لهم باستمرار بأن السلام هدف رئيسى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان.

والمسلم يتجه فى نهاية صلاته كل يوم خمس مرات بتحية الإسلام إلى نصف العالم من ناحية اليمين ثم بعد ذلك إلى النصف الآخر من ناحية الشمال، الأمر الذى يرمز إلى توجه المسلمين بأمنيات السلام للعالم كله.

ـ من كل ذلك يتضح الطابع السلمى للإسلام، فليس مكان فى هذا الدين للعنف أو التشدد، أو التعصب أو الاعتداء أو التطرف، والقهر والإرهاب وترويع الآمنين ، أو الاعتداء على حياتهم وممتلكاتهم، فمقاصد الشريعة الإسلامية تتمثل فى حماية الحقوق الأساسية للإنسان، وبصفة خاصة حماية دينه وعقله وأسرته وممتلكاته. ومن هنا حرم الإسلام الاعتداء على الآخرين بأى شكل من الأشكال لدرجة أن الاعتداء على فرد واحد من أفراد الإنسانية كأنه اعتداء على البشرية كلها ﴿ **مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا** ﴾ (المائدة: ٣٢). فكل فرد يمثل الإنسانية فى شخصه.

وهذه الإنسانية التى يحرص الإسلام على حمايتها تتمثل فى احترام كل فرد بشرى لآخر: احترام حريته وكرامته وحقوقه الإنسانية عامة، وقد ورد فى الحديث الشريف: **[كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه]** ، وفى حديث آخر: **[لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا]**.

كما دعا الإسلام إلى التعايش السلمى بين الشعوب وإلى معاملة غير المسلمين بالعدل والإنصاف. قال تعالى: ﴿ **لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ** ﴾ (الممتحنة: ٨). ومسئولية الحفاظ على أمن المواطنين ولاستقرارهم تعد مسئولية مشتركة بين الناس جميعًا، وتحمل هذه المسئولية هو السبيل إلى الاستقرار والأمن فى مواجهة أخطار الفساد والإفساد.

أما الرد على من يتهمون الإسلام بالإرهاب والتعصب:

ـ الإسلام دين لا يعرف التعصب على الإطلاق وبالتالى فإنه لا يدعو أتباعه إلى التعصب. ومصادر الإسلام فى القرآن والسنة لا تشتمل على شىء من هذا القبيل ؛ فالدعوة إلى الإسلام كما يشير إليها القرآن الكريم تقوم على أساس الحكمة والموعظة الحسنى والجدال بالحسنى وهذه الأساليب تمامًا عن كل شكل من أشكال التعصب. والرسول ﷺ يقول لأهل مكة بعد رفضهم لدعوته

لهم للإسلام: قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦) .

ـ أما ما يتصل بالأديان السماوية السابقة فإن الإسلام يعتبر الإيمان بأنبياء الله السابقين عنصرًا أساسيًا من عقيدة المسلم، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

فالموقف الإسلامى إزاء الأنبياء جميعًا هو عدم التفريق بين أحد منهم، ولذلك صورة التسامح الدينى لا مثيل لها لدى أتباع أى دين من الأديان . فهل هناك مجال للتعصب بأى شكل من الأشكال فى تعاليم الدين الإسلامى.

ـ يدعو الإسلام الناس جميعًا إلى التآلف والتعارف رغم الاختلافات التى بينهم. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ١٣). كما يدعو الإسلام المسلمين فى صراحة ووضوح إلى التعايش السلمى مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨).

ـ الإسلام دين يدعو إلى الصفح والعفو. قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٣٧). يدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان لينقلب العدو إلى صديق. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (فصلت: ٣٤). وفى الحديث الشريف **[يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا]** هذه دعوة إلى نبذ التعصب. إن التنفير ينطلق من التعصب، أما التبشير فينطلق من منطلق التسامح. وإذا كان الإسلام يرفض التعصب فإنه بالتالى يرفض الإرهاب والتطرف وترويع الآمنين وقتل الآخرين.

ومن ذلك يتضح أن إلصاق تهمة التعصب بالإسلام لا تقوم على أساس، وليس لها أى سند من تعاليم الإسلام، وإذا كان بين المسلمين بعض المتعصبين أو المتطرفين فلا يرجع بأى حال من الأحوال إلى تعاليم الإسلام، وإنما يرجع إلى فهم خاطئ وتأويل باطل لتعاليم الإسلام، والإسلام لا يتحمل وزر ذلك، وينبغى التفريق بين التعاليم السمحة للإسلام وبين السلوكيات الخاطئة لبعض المسلمين، ومن ناحية أخرى نجد أن التعصب موجود لدى بعض الجماعات فى كل الأديان،

والإرهاب أصبح ظاهرة عالمية لا يختص بها أتباع دين معين دون بقية الأديان، وهذه حقيقة ماثلة أمام أعين الجميع فى عالمنا المعاصر، فهل الإسلام هو الذى أوجد هذه الظاهرة العالمية بين أتباع جميع الأديان.

أخيرًا وأصبح معروفًا للجميع بأن الإسلام يخوض معارك متواصلة ضد الباطل الذى يبدل كل ما يستطيع من أسلحة لطمس معالم الحق الذى جاء به رسول الهدى محمد ﷺ برسالة وأعلن للناس جميعًا بما جاء برسالة الإسلام أن الكلمة الأخيرة لدين الله على الأرض، ولم ينكر أيًا من أنبياء الله وما أنزل عليهم من كتب سماوية، ولم يجبر أحدًا من إتباع الديانات السماوية على اعتناق الإسلام، ولم يقتصر الأمر على عدم الإنكار، وإنما جعل الإسلام الإيمان بأنبياء الله جميعًا وما أُنزل عليهم من كتب أساس من عقيدة كل مسلم لا تصح هذه العقيدة بدونه، ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات الأخرى يقابل بتسامح مماثل وأن يقلل من عدد المناهضين للإسلام والذى حدث عكس ذلك تمامًا فقد وجدنا الإسلام على مدى التاريخ يتعرض لحملات ضارية من كل اتجاه، وليس هناك فى عالم اليوم دين من الأديان يتعرض لمثل ما يتعرض له الإسلام فى الإعلام الدولى من ظلم فادح وافتراءات كاذبة.

والذى نشاهده اليوم فيما يكال من الشبهات ضد الإسلام منذ دهر وحتى اليوم شبهات مكررة، ولا تختلف مع بعضها إلا فى الأسلوب والصياغة أو محاولة إعطائها صيغة علمية، والحمد لله قام كثير من المفكرين الإسلاميين فى فترات مختلفة فى الرد على هذه الأباطيل بطرق كل بأسلوبه الذى يعتقد أنه السبيل الأقوم.